الأربعاء: 2023/12/06
التوقيت: 14:50 – 16:20
عن بعد

الدرس رقم 11: مدارس الاستشراق – المدرسة الانجليزية

إن الحديث عن تقييد وتحديد التاريخ الأنجح لحركة الاستشراق الانكليزي هو الرجوع إلى ما قبل الحروب الصليبية، خاصة التي تفشت في البلدان العربية الإسلامية تحت راية الصليبيين ونذكر منها بلاد الأندلس التي لا تزال واجهة لاستذكار مستهدفات ومخلفات الحروب الصليبية، ويرجع بعض الباحثين بداية الاستشراق الانكليزي إلى ما قبل الحروب الصليبية حيث توجه نفر من الانكليز إلى الأندلس للدراسة في جامعاتها ومدارسها.

ومن أبرز الباحثين الذين قاموا برحلات واسعة في البلدان العربية الإسلامية خاصة الأندلس هو:

المستشرق أدلارد أوف باث:

كان من بين الباحثين الذين تأثروا بالحضارة العربية فألهمته اللغة العربية فاهتم بها واعتزم على تعلمها وإتقانها حتى يتمكن من دراسة العلوم الإسلامية، ولدى عودته إلى بريطانيا اشتغل معلماً للأمير هنري الذي تقلد فيما بعد مقاليد الحكم باسم هنري الثاني. ومن أهم آثاره كتابه المسائل الطبيعية، والأصول لإقليدس، وغيرها من الآثار.

فتوافد المستشرقون على المشرق العربي لغرض الدراسة كواجهة مبدئية تحت قناع الغايات السياسية والدوافع النفسية، فاختلفت اتجاهات الاهتمامات بالعلوم العربية الإسلامية في الشرق من ترجمة وجمع المخطوطات ودراستها، وحفظها من الضياع والتلف، فتعددت أسماء هؤلاء، ولا يمكن ذكرها كلها بناء على بوادر البحث والتنقيب الشاسعة والتي استوفت جميع العلوم العربية، من بين أشهر هؤلاء:

(توماس براون كان قاضيا في صقيلية، يلقب بالقاضي براون، **وروبرت أوف تشستر، دانيال أوف مورلي، ميخائيل سكوت، وروجر بيكون)**، كل هؤلاء حملوا ثقافة عربية وترجموا الكثير عنها وصنفوا الكثير من أمهات الكتب في العربية وعلومها، ولكن هذه البداية الباكرة لم تستطع خلق تيار يمكن وصفه بالحركة الاستشراقية.

ويمكن الإشارة من هذا المنظور أن ما دعت إليه الكنيسة الأنكليكانية كان بداية وميلاد رسمي للحركة الاستشراقية، ومن هذا المنطلق كانت واصلة لفتح نافذة التعرف على العالم الشرقي العربي الإسلامي، وإدراك حيثياته ودراسة تفكيره وعاداته وتقاليده ومن ثم الولوج تدريجيا إلى المجتمع الإسلامي والاحتكاك بالعرب المسلمين حتى يسهل مراقبة العالم الإسلامي عن

كثب وبالتالي تهيئة الأجواء للسيطرة المباشرة، فكان مد النفوذ غير المباشر قد اتخذ من شركة الهند الشرقية أولاً كواجهة تطوير الأعمال بهدف إتمام عمليات السيطرة على الهند والاستحواذ على ثرواتها وجعلها سهلة المنال لحكومة التاج البريطاني، حيث نجد هذه الأخيرة سعت فيما بعد وبخطوات حثيثة إلى إقامة مراكز البحوث الاستشراقية وتوسيع نطاقها في الهند مثل الجمعية البنغالية. ويمكن القول أن القرن السابع عشر هو الانطلاقة الحقيقية للاستشراق الانكليزي.

هذا وقد شهد القرنان السابع عشر والثامن عشر الميلاديان ظهور عدد من المستشرقين الانكليز، منهم:

إدوارد بوكوك (1648-1727م) ومن أبرز كتاباته: نماذج من تاريخ العرب، وتحقيق: لامية العرب للطغرائي، وكتاب مختصر الدول.

كان الاستشراق الإنكليزي بين أول وأوثق وأوسع ما عرفته أوروبا من استشراق منذ اتصال بريطانيا بالشرقين الأوسط والأقصى اتصالا ثقافيا وعسكريا واقتصاديا واستعماريا في: الأندلس، والقدس، والهند، والصين، والعراق، ومصر، وفلسطين. وفي خلال ذلك اتخذ طابعه العلمي الخالص عندما توفرت للمستشرقين أسبابه، وتنوعت أغراضه، وانقطعوا إليه، وأخلصوا فيه.

فقد طلب الرواد الانكليز الثقافة العربية عن طريقين:

أولهما طريق المتضلعين منها أمثال الفيلسوف الإسباني إبراهيم بن عزرا من مدينة طليطلة الذي وفد على لندن ودرَّس فيها ما بين الأعوام 1158-1159م.

وثانهما من خلال العلماء الذين قصدوا صقلية والأندلس وأخذوا الثقافة العربية على أعلامها في مدارسها، من الذين تثقفوا بالثقافة العربية وترجموا الكثير عنها وصنفوا النفيس فيها فجاءت تواليفهم ومصنفات زملائهم من علماء أوروبا، وكلها باللاتينية يوم ذاك، تحمل طابع القرون الوسطى، اضافة إلى كونها دَيْنَاً مزدوجا للعرب والمستشرقين.

فالعرب نقلوا الكثير من التراث الإنساني وحافظوا عليه وكملوه وأبدعوا منه وصنفوا فيه. والمستشرقون نقلوه وشرحوه فقضوا على جهالة القرون الوسطى وأقاموا النهضة الأوروبية الحديثة على أسس متينة من الرقي والتطور والتكامل بسرعة، وأتاحوا الفرصة لخلفائهم فطلبوا العربية لذاتها لا سعياً وراء التراث، فعنوا بتدريسها وتحقيق مخطوطاتها وترجمتها والتصنيف

فيها. وبفضل الاستشراق تجددت الصلات الاقتصادية والسياسية بين إنكلترا والشرق الأدنى على الرغم من الحرب الأهلية في القرن السابع عشر.

وفي مطلع القرن الثامن عشر، ازدهر الاستشراق متأثراً بعوامل عديدة من أشهرها: انشاء كرسيين جديدين للعربية في جامعتي أكسفورد وكمبريدج، واسترعاء التوسع الأوروبي في الشرق الأقصى، ولا سيما الهند، ثم اختتام القرن الثامن عشر بحملة نابليون على مصر، ومن صحبها من العلماء ومعظمهم مستشرقون، فاتصل الشرق الأدنى بأوروبا في الثقافة والسياسة والاقتصاد اتصالا وثيقا لم يعرف من قبل وتبين منه أن العربية أصل كل ثقافة إسلامية في أية لغة من اللغات.

في القرن التاسع عشر، استمر ذلك الازدهار، على تطور كبير في الدراسات العربية، بفضل ما نشره علماء حملة نابليون، ولما عاد الانكليز إلى انكلترا تعاونوا على التدريس والترجمة والتحقيق والتصنيف فتوفر لجامعة كمبريدج ثلاثة من مشاهير المستشرقين، وهم : بيفان، ونيكولسن، وبراون. وجل ما صنعه المستشرقون كان من جهد أفراد لم ينالوا عليه أجرا أو شكورا : كهندلي في لندن، ولمسدن في الهند الذي نظم الاستشراق في كلية فورت وليم تنظيما علمياً. وقد تناولت دراسات المستشرقين موضوعات شتى من اللغات والآداب والعلوم والفنون والعقائد والتاريخ والجغرافيا. هذا جعل كثيراً من بلاد العرب وتراثها الحديث يظهر للعالم.

ومن أبرز المستشرقين الانجليز:

1- يدويل، وليم 1561-1632م

تخرج من كمبريدج، وعين مديرا لسانت أثلبرج 1601م وأستاذ العربية في أكسفورد، وعاون على ترجمة التوراة 1604م. وقد اشتهر بأنه رائد الدراسات الشرقية ولا سيما العربية في بريطانيا، وواضع أسس تدريسها، لأنها على حد قوله، لغة الدين والسياسة والمعاملة من الجزائر إلى الصين. ثم انصرف إلى دراسة الرياضيات وله فيها بضعة مؤلفات، ومن آثاره: المعجم العربي، وترجمة رسائل القديس يوحنا من العربية إلى اللاتينية.

2- والتون، الأسقف 1600-1661م

تخرج من كمبريدج، وعين راعيا لكنيسة الملك، وطرد منها بسبب المذهب الذي كان يتبعه، وسجن، ثم التحق بعد ذلك بجامعة أكسفورد لدراسة اللغات الشرقية. وعاد إلى لندن

وجمع التبرعات لنشر التوراة بعدة لغات، وقد استعان فيها بعدد كبير من العلماء فصدرت بعد ذلك بلندن. ومن آثاره: نشر التوراة بعدة لغات، معتمدا على تحقيقات الكثيرين في النصوص العبرية والسامرية، والكلدانية، واليونانية، والسريانية، والعربية، والحبشية، واللاتينية إلخ. وقد نشرت باسمه وأسماء معاونيه بلندن ذلك خلال الأعوام 1655-1657م.

3- ريفلين، هيلين آن:

مُستشرقة إنكليزية، حصلت على الليسانس مع درجة الشرف، من جامعة روشتسنر 1949م وعلى الماجستير من معهد رادكليف 1950م والدكتوراه من جامعة أكسفورد . المدرسة البريطانية للدراسات الشرقية والأفريقية 1954م. ومن الوظائف التي شغلتها: باحثة في مركز الشرق الأوسط بجامعة هارفارد 1954-1957م. ومن آثارها: السياسة الزراعية على عهد محمد علي في مصر، والاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر، ودار الوثائق في قصر عابدين في القاهرة كمصدر لدراسة مصر الحديثة في القرن التاسع عشر. أمّا المناهج التي قامت بتدريسها: نذكر منها التاريخ الإسلامي والحضارة حتى 1453م، والتاريخ الإسلامي والحضارة من 1500م حتى اليوم، تاريخ العرب، وتاريخ الفرس، وتاريخ الأتراك، وتاريخ اليهود.

- خصائص الاستشراق الانجليزي:

·يمتاز بارتباطه بالحركة الاستعمارية، ومحاولة ترسيخ السياسات الاستعمارية الإنجليزية في الشرق.

·الاهتمام باللغة العربية؛ نظرًا لمصالحها الاقتصادية والسياسية التي تربطها بالعالم العربي.

·تتميز هذه المدرسة بالتعدُّد والشمول في سائر الدراسات الشرقية "آداب – تاريخ – فلسفة – علوم – فنون وعمارة وآثار."

·تتميَّز أيضًا بالتخصصية الدقيقة، فكلُّ مستشرقٍ له تخصُّصه الدقيق في أحد مجالات المعرفة الشرقية.

·الاهتمام بدراسة المعارف الخاصة بالمنطقة الجغرافية التي تقع تحت قبضتها الاستعمارية "مصر وإفريقيا السوداء"، مع الإهمال الواضح لشمال إفريقيا؛ نظرًا لوقوعه تحت قبضة الاستعمار الفرنسي.